

الشباب الجزائري والعمل التطوعي : المكانة
الاجتماعية والهوية :
"دراسة ميدانية "جمعية جنة العارف
العلاوية أنموذجا "

**Algerian Youth and Volunteer Work: Social Status and
Identity: A Field Study: Association of Djennat el ArifAlawiya a model.**

الطالبة الباحثة قابو أمينة* - جامعة معسكر
الطالب الباحث كرايس الجيلالي* - جامعة وهران 2

الملخص:

يعتبر الشباب العربي وبخاصة الجزائريين بين الفئات المهمشة، في ظل مجتمع ذكوري، تهيمن السلطة الأبوية على جميع مؤسساته، مما أدى إلى إقصاء هذه الفئة الشبانية وانسحابها من الحياة السياسية، وتوجهها نحو نشاطات أخرى بعيدا عن السلطة المهيمنة، فمن بين استراتيجيات التي تبنتها هذه الفئة لاندماجها في المجتمع هي انخراطها في المجتمع المدني، خاصة الجمعيات الخيرية، التي تركز بالأساس على العمل التطوعي، الذي يحمل بعدا إنسانيا أكثر منه بعدا سياسيا أو دينيا، ومن بين هذه الجمعيات "جنة العارف" ذات البعد الإنساني والمرجعية الصوفية، التي يعتبر انخراط الشباب فيها شكلا من أشكال التعبير عن الذات والعمل على تصحيح صورته المشوهة التي يحملها المجتمع عنه هذا من جهة ومن جهة أخرى بحثا عن المكانة الاجتماعية المرموقة، والتكامل في شكل هوية جديدة، رافضة للإقصاء السياسي، وباحثة بطرق مختلفة من أجل العودة إلى الواجهة ومجابهة الجيل الأول "جيل الآباء عن طريق تأسيس شرعية جديدة قائمة على هوية مدنية تتمثل في "النشاطات الخيرية والعمل التطوعي"، وهذا ما سنسعى إلى توضيحه في هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: العمل التطوعي، الهوية الصوفية، صراع الأجيال، المجتمع المدني، المكانة الاجتماعية.

Abstract:

The Arab youth, especially the Algerian, are among the marginalised groups in a patriarchal, male-dominated society

*البريد الإلكتروني: aminakabou@yahoo.fr
*البريد الإلكتروني: kerais2014@hotmail.fr

dominated by patriarchal authority over all its institutions. This has led to the exclusion of the youth and to their withdrawal from political life and their tendency towards other activities away from the dominant power. One of the strategies adopted by this group for its integration into society is its involvement in civil society, especially charities that are based primarily on volunteerism, which carries a human dimension rather than a political or religious dimension. Among these charities is "Djannat el Aref" with its human dimension and Sufi reference, in which young people engage in a form of self-expression and work to correct the distorted image that the society carries on them, on the one hand, and on the other, in search of a prestigious social status, and a new identity. This identity refuses political exclusion, and seeks in different ways to return to the forefront and confront the first generation -generation of fathers- by establishing a new legitimacy based on a civic identity of "charitable activities and volunteerism "and this is what we seek to clarify in this paper.

Key Words:volunteer work, social status, generational conflict, Sufi identity, civil society.

مقدمة:

تعرف المجتمعات العربية في الآونة الأخيرة، بروز قوى اجتماعية جديدة، تتميز بالحركية والديناميكية، وهي تحاول رسم خارطة جديدة للقوى الفاعلة في المجتمع العربي، وتصبوا إلى التصدي للهيمنة، التي تعرفها مختلف المجالات، خاصة أن نظرة المجتمع

العربي للشباب اليوم، هي نظرة تقوم على أنه غير قادر على تحمل المسؤوليات السياسية والاجتماعية، وهذا ما جعل فئة الشباب تنسحب وتنتمي إلى المجتمع المهمش، على حد تعبير الباحث الجزائري علي الكنز (الكنز، ع، جابي، ع.ن. 1998: 35، 68)، وإذا عدنا إلى المجتمع الجزائري، نجده محكوم من خلال طبقة سياسية تتمتع بنوع من الشرعية التاريخية، وهي غير معترفة بغيرها من الفئات الأخرى، كما أن حالة عدم الاعتراف هذه، ولدت نوعا من الاغتراب لدى الشباب الجزائري داخل الحقل السياسي، إذ أنهم بدؤوا يشعرون بنوع من العجز الذاتي في علاقاتهم بالمجتمع ومؤسساته (بركات، ح. 2006: 35). كما أن فشل التحول الديمقراطي في الجزائر، وانحصار التجربة الإسلامية، التي استطاعت احتواء العديد من الشباب، أدى إلى تحول الاهتمام الشبابي، نحو المجتمع المدني كبديل للعمل السياسي، فأصبحت الجمعيات بمختلف أنواعها، الوجهة المفضلة للشباب من أجل العودة إلى الحياة الاجتماعية، والنشاط التطوعي، الذي أصبح يكتسي نوعا من الإنسانية، في ظل توجه العديد من الشخصيات المشهورة نحوه، ولاسيما الفنانين والممثلين مقدميه للعالم على أنه عمل إنساني، هذا التوجه الذي ساهمت التكنولوجيا التواصلية في الترويج له، وبذلك أصبحت الجمعيات اليوم تحتوي الشباب، من خلال إعطائهم فرصة لولوج هذا العالم، وهذا ما سنحاول تتبعه من خلال نموذج جمعية **جنة العارف**، كجمعية بارزة في المجال التطوعي، على المستوى الوطني. طارحين السؤال التالي: **كيف تساهم جمعية "جنة العارف" كفضاء جمعي في بناء علاقات اجتماعية ومرجعية وهوياتية للفاعلين الاجتماعيين؟ وما هي الطرائق والاستراتيجيات التي تبنتها الجمعية في تأطير الفئة الشبانية وإدماجها في المجتمع؟ وكيف يعول على الفعل التطوعي كفعل استراتيجي لدى الشباب؟**

1- منهجية الدراسة:

1-1- الفرضيات:

- العمل التطوعي الشباني، هو ردة فعل على الإقصاء السياسي لفئة الشباب.

- جمعية "جنة العارف" من خلال العمل التطوعي ومرجعيتها الصوفية تساعد الشباب على التكتل هوياتيا ومواجهة الأجيال الأخرى.

- النشاط داخل المجتمع المدني عند الشباب هو بحث عن مكانة اجتماعية داخل المجتمع.

1-2- مفاهيم الدراسة: لقد أعتمدنا على التعريفات الإجرائية للمفاهيم في هذه الورقة البحثية .

- العمل التطوعي الشبابي: ونقصد بالعمل التطوعي ذلك العمل الذي يقوم به الشاب المنخرط في جمعية جنة العارف دون مقابل مادي بل تطوعا منه، من أجل القيام بدور ما داخل المجتمع والشعور بالوجود والتأثير فيه. وهو شباب متعلم وصاحب طموح وخلفية أخلاقية مستلهمة من المرجعية الروحية للجمعية.

- القيادة: ويقصد بها إحداث تغيير بشكل سلس ومستمر عن طريق التعلم والمشاركة والتمكين، فالقيادة تتمحور حول الوعي بما يدور حولنا، وإدراك الدور المنوط بنا في إحداث الفرق، حيث لا علاقة لأي من هذه الجوانب بالظروف المحيطة بنا من عمر وجنس وجنسية. (دراسة مركز كن حر. 2011)

- المكانة الاجتماعية: هي المركز الذي يشغله الفرد في النظام الاجتماعي، تحدده عدة متغيرات، أهمها عمل الفرد وثروته وشرفه وقوته ودرجة الاحترام والتقدير التي يحصل عليها من الآخرين. (Sills, D.1968; 250).

- صراع الأجيال: وهو مفهوم مكون من كلمتين: الصراع (conflict): وهو النزاع المباشر والمقصود بين أفراد أو جماعات، من أجل هدف واحد. حيث تعتبر هزيمة الخصم، شرطا ضروريا للوصول إلى الهدف، ويظهر في عملية الصراع، الأشخاص بشكل أوضح من الأهداف المباشرة. ونظرا لتطور المشاعر العدائية القوية. فان تحقيق الهدف في بعض الأوقات قد يعتبر ثانويا بجانب هزيمة الطرف الآخر (غيث، ع. 2006: 73)

أما صراع الأجيال حسب كارل مانهايم، هو اللحظة الجيلية التي تنتج عن تجربة جماعية لجيل معين تدفع به إلى أن يسلك سلوك معين، والتميز بثقافة سياسة معينة. فهي إذن تجربة تجعله يختلف عن الأجيال الأخرى، خاصة إذا ربطنا ذلك بتشكيل الحركات

الاحتجاجية. وهكذا تبقى إشكالية الجيل من المواضيع المهمة التي لابد من تناولها بجدية باعتبارها أحد المحاور الضرورية لفهم تشكل الحركات الاجتماعية. (جابي، ن. 2012: 6).

- **التعريف الإجرائي:** ونقصد به وجود فئات عمرية مختلفة في الجزائر تتصارع فيما بينها حول المكاسب السياسية والاقتصادية والثقافية، حيث أن كل جيل لا يثق بالآخر ويعتبر زواله ضرورة من أجل الحصول على نوع من السلطة والمشاركة في التسيير والقيادة، وإحداث التغيير المناسب، الذي تُوظف فيه مختلف الوسائل بما فيها الثقافية والرمزية.

- **المجتمع المدني:** عرفه محمد عابد الجابري: "بأنه منظمات مستقلة عن الدولة، تقوم بنوع من الخدمة في المجتمع، مثل الجمعيات الأهلية، والخيرية التي هي معارضة لهيمنة الدولة عن المجتمع" (الجابري، م ع. 1998: 45).

- **التعريف الإجرائي:** ونقصد به ذلك الفضاء الموازي للسلطة السياسية باعتباره مجالا خاصا ينشط فيه الأفراد والمواطنين في مختلف المجالات، ويسعى كل واحد منهم إلى إثبات ذاته والدفاع عن خياراته بنوع من الحرية وبعيدا عن الرقابة السياسية، من أهمها في هذا السياق تلك الفئات التي تعاني التهميش والإقصاء، مثل الشباب بما فيهم النساء في المجتمع العربي.

- **الهوية الصوفية:** يستمد المتطوع وبصفته المريد العلاوي هويته من التنشئة الصوفية والتربية الروحية التي يتلقاها داخل مؤسسة الزاوية العلاوية، ويتفاعل بشكل عضوي مع قيم ومبادئ مشايخ الطريقة، المتمثلة في الهابيت وسالأخلاقي للطريقة، والذي أساسه المحبة والصدق والتعظيم والتسامح والعيش في سلام وتقبل الآخر وانفتاح الذات العلاوية وتواصلها مع ثقافة الآخر، وعليه فإننا نتصور أن الهوية العلاوية من خلال هذا النسق القيمي تتصف بالتواصلية، وتقبل التعدد والتنوع الهوياتي في المجتمع الجزائري، وتقر بالاختلاف كشرط أساسي لتميزها وتفاعلها مع باقي الهويات الأخرى، أي أنها ترفض الإقصاء وتساهم في تشكيل هويات مستقلة عن كيان الدولة، وبخاصة المدنية منها.

1-3- **التقنية المعتمدة:** لقد استخدمنا في بحثنا الميداني على تقنية المقابلة الموجهة،

وهي تتلاءم مع البحوث الكيفية.

- 1-4- العينة:** أعتمدنا على عينة قصدية مكونة من 12 مبحوثا "ذكور واناث" من الشباب الناشط في جمعية **جنة العارف**، تتراوح أعمارهم بين 20 سنة الى 30 سنة.
- 1-5- المدخل النظري:** اعتمدنا على مقارنة صراع الأجيال عند الباحث الجزائري ناصر جابي في تتبع خلفية العمل التطوعي لدى الشباب الجزائري. لنحاول الاقتراب من التصورات التي يحملها الشباب للعمل التطوعي والهدف منه .
- 1-6- المنهج المتبع:** لقد اخترنا منهج التحليل الكيفي للمعطيات، وهو منهج يتلاءم مع البحوث الكيفية ومع تقنية المقابلة.
- 2-المجتمع المدني والبحث عن بديل في مجتمع مأزوم:**

إن المجتمع المدني هو نمط من الانتظام الاجتماعي والسياسي والثقافي، مستقل جزئيا عن رقابة الدولة، تمثل هذه التنظيمات في مختلف توجهاتها وسائط اجتماعية، حيث يشمل مختلف البنى والمؤسسات المدنية، التي تمثل مرتكز الحياة الرمزية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع، فهي لا تخضع مباشرة لهيمنة السلطة، والهدف منها هو تفاعل الأفراد لينتجوا ذاتهم، وحياتهم الخاصة، من خلال قدرتهم على اختيار المنظمات والجمعيات، التي يتفاعلون داخلها، وفق نسق قيمى متفق عليه، حيث أصبح المجتمع المدني له فاعلية كبيرة في تسيير الشأن العام، أما إذا عدنا إلى المجتمع المدني في الجزائر، فهو حديث النشأة ولا يزال يمر بمرحلة المؤسسة، فمعظم كياناته هي جمعيات ذات طابع فني وثقافي غير مؤطر، ولا تحمل رؤى واضحة لفهم واستيعاب الواقع، الذي يشهد تحولات يومية، ومن بين الجمعيات الفاعلة في المجتمع الجزائري، وبصفة خاصة المجتمع المستغانمي جمعية جنة العارف، ذات المرجعية الصوفية، فهي تشهد استقطاب واسع للشباب، كونها تعبر عن البديل بالنسبة إليهم، وتمنحهم فرصة لإثبات الذات والبحث عن المكانة الاجتماعية داخل النسيج الاجتماعي، في ظل مجتمع يميل إلى تقدير كبار السن، والسماح لهم بالهيمنة اجتماعيا، وسياسيا، مقارنة بباقي الفئات العمرية الأخرى وإذ انطلقنا من تصور المبحوثين لمن يكبرونهم سنا، أو بالمعنى السوسيولوجي للأجيال السابقة لهم، خاصة إذا علمنا أن معدل السن في عينة البحث لا يتجاوز 30 سنة، نجدهم يقرون بوجود نوع من التسلط والأحادية على مستوى اتخاذ القرار السياسي، أو كل ما هو تسيير للشأن العام، وهذا

ما ولد لديهم نفورا من المشاركة السياسية، وتوجههم نحو النشاط المدني، وذلك بسبب الإقصاء والنظرة الدونية، التي يتلقونها من الطبقة السياسية التي تتميز بالترهل والتفوق على نفسها، فالمبجوثين ومن خلال تصريحاتهم، يشيرون إلى عدم اقتناع العنصر الشبابي بحجم تمثيله على مستوى دوائر السلطة السياسية، وجميع مؤسسات الدولة، ويعتبرون تواجدهم شكلي وغير كافي، وهذا ما سيدفع بهم إلى التكتل في نموذج آخر يوازي السلطة السياسية، بحيث يتميز بالاعتراف القانوني والقدرة على المواجهة، التي تعري أخطاءها، ومن جهة أخرى يمثل ملاذا للفئات الهشة، ويشكل لها فضاء حرا، تعبر فيه عن كينونتها، "فالمجتمع المدني اليوم وفي الجزائر ما هو إلا نوع من التمرد على وحدانية الدولة، وهو ييشر بخيار جديد لا يعني إصلاح الدولة أو الانقلاب العسكري، وإنما التحرك الاجتماعي". (بشارة، ع. د. ت: 44).

يعتبر النشاط المدني اليوم في الدول العربية نوعا من أنواع الفضاء البديل، الذي لا يمكن للسلطة السياسية أن تمنع الحراك داخله، حتى وإن كانت لا تكف عن مراقبته، خاصة بعد أن تحول إلى مجال لفئة واسعة من الشباب، الذين هم حسب تصريحات المبجوثين لا ينتمون إلى أي مؤسسة حزبية ولا يفكرون في ذلك، وهذا دليل على غياب مفهوم الإجماع داخل العملية السياسية، بين مختلف الفئات، وفقدان مصداقيتها بالنسبة لهم، لا سيما الشباب، وهذا ما دفع بهم إلى التكتل في كيانات أخرى-

- وقد عبر عنه: **صموئيل هانتغتون** قائلا "إن دول العالم الثالث تعاني من قصور في المتحد السياسي، وفي الحكم الفاعل والمهيمن والشرعي" (هانتغتون، ص. 1993: 8)، أي أن ليس هناك شرعية بما يكفي للفئة الممارسة للحكم، وهذا ما جعل الفئات المنافسة لها، تنسحب من العمل السياسي، وتتنظم في نشاطات أخرى، أصبحت أكثر تأثيرا في تكوين الرأي العام.

وعليه يمكن القول أن المجتمع المدني وما يتمتع به من هامش للحرية، أصبح يشكل البديل بالنسبة للكثير من الشباب، من أجل النشاط وتفجير الطاقات الكامنة بداخلهم، وهذا من خلال التكتل على أساس متغير السن، فالعمل التطوعي يناسب فئتهم العمرية بما يتطلبه من نشاط وحيوية، كما أن العمل التطوعي المهيكول والموجه من طرف الجمعية يعتبر نضالا باسم الشباب، الذي يعاني التهميش دون تمييز رغم عددهم الكبير وسيطرتهم على التركيبة

السكانية للجزائر، إلا أنهم مهمشون كنوع اجتماعي، وهذا ما سيدفع بهم الى الرهان على حجمهم، والتكتل كفئة عمرية بعيدا عن المتغيرات الأخرى، فعند ما يخذلك الكيف فانك تطلب النجاة في الكم، وعندما يكون الدوام غير معقول وغير مقبول فان سرعة التغيير هي التي يمكن أن تنجيك. (زيجمونت، ب. 2016: 96)، فالمجتمع المدني اليوم وبمختلف تجلياته هو البديل والخيار الاستراتيجي لفئة الشباب للتعبير عن رفضهم المطلق لعلاقات الهيمنة التي تحكمهم بالأجيال السابقة.

3- صراع الأجيال في الجزائر والبحث عن القيادة:

إذا انطلقنا مما أشار إليه الباحث الجزائري ناصر جابي، "والذي يرى أن التعليم يربك الأسرة، وقد يؤدي إلى انهيار مؤسسة السلطة السياسية في غالب الأحيان" (جابي، ن. 2012: 5)، وهي إشارة واضحة منه إلى صعود جيل جديد، داخل المجتمع الجزائري، يختلف عن الأجيال السابقة، التي كانت تستثمر في الشرعية الثورية، وهي تعتبر نفسها أولى بالسلطة من خلال الرصيد التاريخي الذي تتمتع به، لكن ظهور هذا الجيل المتعلم، وهذا ما يعكسه المستوى التعليمي لأفراد العينة، إذ أنهم يتمتعون بمستوى تعليمي جيد، فهم من حملة الشهادات الجامعية والطامحين إلى مزيد من الارتقاء العلمي والمعرفي، هذه الخاصية التي جعلتهم لا يعترفون بالشرعية الثورية كمصدر وحيد للسلطة، فهم لم يعيشوا أحداث الثورة ولا مرحلة البناء الوطني، بل هم مقتنعون أن الكفاءة ورصيدهم العلمي والمعرفي، هو مصدر السلطة، والوسيلة الأنجع لإزاحة الأجيال السابقة، كما أن هذا الجيل أتيحت له الفرصة في الجزائر مع بداية الأزمة الأمنية والسياسية، سنوات التسعينيات، إلا أن سياسة القمع والإقصاء التي تعرض لها الانفتاح السياسي الناشئ آنذاك، جعل الجيل الصاعد يفكر في طريقة أخرى لمواجهة جيل الشرعية الثورية، بعيدا عن فكرة منازعته في السلطة السياسية.

لذلك كان اختيار الحراك الجمعي، بمثابة البحث عن تغيير العقلية والذهنيات السائدة داخل المجتمع الجزائري، حيث صرح أحد المبحوثين: "إن التغيير الاجتماعي والثقافي أولى وأسبق من التغيير السياسي، لأن المشكلة تكمن اليوم في وجود شبه إجماع حول إقصاء الشباب من العمل السياسي" (مقابلة رقم 03 يوم 2016/06/28)، أي أن الجيل الأول وهو جيل الثورة والجيل الثاني ممثلا في جيل البناء والإدارة، قد تقاسما الأدوار والوظائف، داخل

المجتمع عن طريق التراضي، بالإضافة إلى اعتمادهما على استراتيجيات عمودية في الصعود، من خلال احتكار العمل السياسي، بينما أصبح الجيل الثالث والرابع يشكل نوعا من الخطر على وضعهم السياسي والاقتصادي داخل المجتمع، فمن جهة هو يبحث عن القيادة ومن جهة أخرى يريد أن يكون له دور في الحياة الاقتصادية، موظفا قدراته العلمية، غير أن حالة الصد التي تعرض لها جعلته يميل إلى استراتيجيه معاكسة لما اعتمدته الأجيال الأخرى، وذلك بالتوجه نحو الحراك الأفقي، أي الانخراط في الحركة الجمعوية من أجل الاندماج في المجتمع، والمبادرة إلى المشاركة في عملية التسيير، دون الدخول في صراع مباشر مع الأجيال السابقة، طارحا بذلك سؤال الهوية الذي يصبح أكثر طرعا عند كل صدمة أو تصدع عميق أو صحوه قومية بسبب الخوف من التلاشي (زغب، أ. 2013: 413).

الشباب اليوم ممن تقل أعمارهم عن 30 سنة، - هم الفئة الغالبة ديمغرافيا والتي تشكل نسبته 58% من مجموع السكان بلجزائر، حسب المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي (تقرير صادر عن المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي. 2014: 31)، - لا يعترفون بسلطة كبار السن ولا بمصادر شرعيتها، وهم يفكرون في قيادة المجتمع عن طريق تحريره من أفكارهم، وتمرد على نسقهم التقليدي، بالإضافة إلى فرض أخلاق جديدة وتغيير الصورة النمطية للمجتمع حول الشباب، إذ أن للسلطة الأخلاقية دور أساسي في إضفاء الشرعية، على أي شكل من أشكال القيادة، لا سيما تلك القيم والأنساق الثقافية والإنسانية (كنيث، ب، مايكل، أ. 2000: 10)، وهذا ما يتجلى من خلال إجابات المبحوثين الذي يجمعون على أن نشاطهم التطوعي إنما هو محاولة لتحسين صورتهم داخل المجتمع، وإضفاء نوع من الأخلاق والحس التكافلي والتضامن بين أفراد المجتمع، بنزعة صوفية إنسانية، حيث صرح أحد المبحوثين: إن "عملي التطوعي يرتكز على إسعاد كبار السن والطبقات الهشة وكل ما هو إنساني، لأن أخلاقي وتربيتي الصوفية تفرض عليّ ذلك" (مقابلة رقم 5. يوم 2016/06/30).

وهنا يمكن القول إن الصراع يعتبر من أهم خصائص المجتمع الجزائري، وهو حراك يكاد يكون مستمرا، بل هو الطابع الغالب على عملية انتقال السلطة في الجزائر، وذلك من خلال اللجوء إلى نوع من الصدام والانتزاع القهري للسلطة، حيث أن جيل الثورة الذي يعتبر اليوم هو المسيطر على السلطة السياسية وعلى جميع مؤسساتها، قد وصل إليها عن طريق

حركة راديكالية انقلابية، على جيل الحركة الوطنية، واليوم نجد نفس الظروف مهيأة لبروز جيل جديد تواق إلى القيادة وإلى التسيير، وهو يحاول انتزاع السلطة من الأجيال الأخرى، لكن بعيدا عن ممارسة العنف، بل عن طريق إبطال أفكار الجيل الأول والقضاء على شرعيته اجتماعيا، وذلك ببروز قيادة جديدة تتمتع بنوع من الإجماع الاجتماعي بعيدا عن العقلية الأبوية التسلطية.

4- الجمعية: الدور والمكانة:

إن النظرة الدونية التي يحظى بها الشباب في المجتمع العربي والجزائري بصفة خاصة، باعتباره قاصرا وغير قادر على تسيير ما هو خاص بالشأن العام. ولّد نوعا من العزوف عن المشاركة السياسية لدى فئات واسعة من الشباب، بل الكثير منهم لا يؤمن بالسلطة السياسية ولا يثقون فيها، مما أدى إلى اتساع الفجوة بين الطبقة الحاكمة والشعب، بما فيهم الشباب كفئة مهمشة وصولا إلى فئة النساء، حيث أصبح المجتمع ينظر إليهن على أنهم مجرد تابعات أو لواحق به، إذ أن المجتمع السياسي ذو النزعة الذكورية وعقدة الشعور بالوصاية على باقي الطبقات الأخرى، من خلال ممارسة نوع من الأبوية المستحدثة، ومحاولة فرض نوع من الانسجام السياسي، دون السماح لهذه الفئات بالمشاركة في عملية صنع القرار، هذا "ما أدى إلى معارضة هذا الانسجام المصطنع في ظل غياب إجماع اجتماعي" (هانتغتون، ص. 1993: 19)، أي عدم وجود توافق حول الدور والمكانة داخل المجتمع بطريقة توافقية. وما التوجه نحو المجتمع المدني من خلال الانخراط في الجمعيات إلا ردة فعل مباشرة من طرف فئة من الشباب، الباحث عن تحقيق دور ومكانة اجتماعية، داخل مجتمع مغلق.

أصبح انخراط الشباب في جمعية " **جنة العارف** " بمثابة مشروع استراتيجي جديد، يهدف إلى تحديث المجتمع، من خلال اهتمامها بالبيئة، التي تعتبر من القضايا الراهنة، وتضمينها بالأخلاق والقيم الروحية.

- لهذا تعتبر جنة العارف من الجمعيات البيئية الناشطة في المجتمع المدني، التي أعادت طرح بعض المشكلات البيئية مثل: " التلوث واستنزاف الموارد الطبيعية... " فمن أهدافها الاهتمام بالإنسان كطرف فاعل في المحافظة على التوازن البيئي، وتحقيق التنمية

المجتمعية بصفة عامة، ومن خلال تصريحات المبحوثين حول تمثلاتهم للجمعية فهي تعتبر جسرا للتواصل وتبادل الخبرات بين دول الحوض الأبيض المتوسط، أي هي فضاء تواصلية منفتحة على المجتمع وجميع مؤسساته وعلى الدول الغربية .

أما عن تسمية **جنة العارف** فمن خلال تصريحات المبحوثين سميت جنة بجمال طبيعتها وأما عن العارف فهي مصدر للمعرفة "وهي حسب المبحوثين مدرسة روحية ومدنية، من خلال انخراط الفاعلين في النشاط التطوعي، كما أن التكتل داخلها إنما هو وسيلة من وسائل الصراع والتحدي في وجه حياة سياسية تتميز بالانغلاق على نفسها، حيث أن أغلب المبحوثين عبروا عن رضاهم التام ، عن الدور الذي يقومون به والمهام المسندة إليهم داخل الجمعية، رغم أن أغلبهم ليسوا أعضاء قياديين بل مجرد منخرطين، وهذا يشير إلى أن الشباب يعاني نوعا من الحرمان، إلى درجة أنه أصبح يشعر بالرضا إلى مجرد الوثوق به وإسناد مهام له، حيث صرح أحد المبحوثين: "إن العمل التطوعي جعلني أكتشف نفسي وأتعرف على قدراتي، وإن الأهداف التي حققتها على المستوى الشخصي أكبر من تلك الخدمات التي يقدمها لي الآخرون" (مقابلة رقم 11 يوم 2016/07/01)، أي أن العمل التطوعي في طابعه الجمعي جعل الشباب يحقق مكانة اجتماعية ونوعا من الاحترام، طالما حرم منه في باقي المجالات "، إذ أن العمل التطوعي يهدف إلى جعل الفاعل يلعب دورا في الحياة السياسية والاجتماعية، وتكون لديه الفرصة في وضع الأهداف العامة" (رحال، ر. 2006: 38)، ويشترط للانضمام إلى الجمعية، تخصيص وقت للفعل التطوعي يساهم فيه الفاعل الاجتماعي، بتقديم خدمة للجمعية تتمثل في السقي أو التشجير أو المشاركة في نشاطاتها التي تصبو إلى الحفاظ على البيئة، بالإضافة إلى جانبها التوعوي والثقافي، كما أن النشاط الجمعي بصفة عامة، وفي شقه التطوعي والخيري بصفة خاصة، هو بحاجة إلى العنصر الشبابي، لقدرته على التحرك والتنقل، وبذلك فإن الشباب يشعر بهامش من الحرية، وأنه يمتلك زمام المبادرة، عكس النشاط السياسي الذي يقتضي الحذر والتوجيه المستمر من طرف القيادة، التي تبحث عن مكاسب سياسية، ولذلك فإن الشباب وهو في مرحلة عمرية تقتضي التحرر والشعور بالذات، يرفض أن يكون دائما تحت الرقابة إذ يرى سارتر "أن هذه الرقابة المستمرة هي في حد ذاتها نوع من أنواع الاستلاب ، التي تؤثر على نشاط الفرد" (ميكشيلي، أ. 1993: 158).

هنا يمكن القول إن العمل التطوعي أو الانخراط في المجتمع المدني بصفة عامة، قد ساهم في إعادة تأهيل الشباب وإعطائهم إحساس بقدرتهم، على لعب دور اجتماعي وإيجاد هامش من الحرية يسمح لهم بالحرّك والتعبير عن كياناتهم الخاص، بالإضافة إلى شعورهم بنوع من الارتقاء وتحقيق مكانة اجتماعية مقبولة داخل المجتمع، كما أن هذا الشباب الذي كان منسحباً سياسياً، أصبح يفكر في إمكانية تولي مسؤوليات سياسية، إذ أن أغلب المبحوثين لا يمانعون من تولي منصب سياسي، حتى وإن كانوا لا يرونه ضرورياً لإحداث عملية التغيير، التي يطمحون إليها، وهذا يحيلنا إلى القول: بلبن النشاط الجمعي ومن خلال الأدوار والوظائف التي يسندها إلى المنخرطين جعلهم يكتسبون نوعاً من الثقة في أنفسهم، عكس النمط التربوي، الذي تلقوه من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية من أسرة ومدرسة. إذ يرى الباحث الفلسطيني هشام شرابي: "أن شخصية المواطن العربي المنسحبة والخجولة وغير والواقعة في نفسها والمخادعة، إنما أكتسبها من خلال ما يتلقاه داخل الأسرة والمدرسة وباقي المؤسسات التربوية، من تربية تقوم على القمع والتخويف بدل التعليم والسماح للطفل بالمشاركة" (شرابي، ه. 1984).

- من خلال تصريحات المبحوثين لاحظنا أن انتماء الفاعلين الاجتماعيين للجمعية ولّد لديهم قناعة تتمثل في ضرورة تبني قيم الجمعية في حياتهم اليومية، ونشرها في المجتمع، لما لها من فائدة تعود على المستوى الفردي والجماعي، فتولد عندهم حب الانفتاح والاندماج بسهولة، والتعامل مع الآخر وذلك بتأثير القيم الصوفية على ممارستهم وهذا ما يسميه هابرماس بالعقلانية التواصلية التي "هي عبارة عن علاقة حوارية بين فئات المجتمع المتعددة والمتباينة، وهي علاقة تتأسس على الفكر الحر" (مهيل، ع. 2007: 152)، وهذا ما جسده الجمعية من خلال انفتاحها على كل الفئات العمرية ومختلف الشرائح الاجتماعية، ولا شك أن هذه العقلنة ساهمت فيها مجموعة من الظروف، فبالإضافة إلى القيمة الروحية، هناك عوامل أخرى، من بينها أن معظم الشباب المنتسب إلى الجمعية، هم من المتحصّلين على الشهادات العليا، مما جعلهم يساهمون في تقديم أفكار جديدة في تسييرها، وهذا في حد ذاته مؤشر على الحداثة كاستراتيجية جديدة، تبنتها الجمعية للاندماج في المجتمع والمساهمة في تعزيز الثقة بين أفراد المجتمع ومؤسساته من خلال أفكارها المبتكرة، وبالتالي ساهمت في تكريس العقلنة، وخلقت نوعاً من البرغماتية عند الفاعلين الاجتماعيين، التي تظهر في

احترامهم للوقت وللمواعيد واستثمار أوقات فراغهم في المشاركة في مختلف أنماط الفعل التطوعي والبيئي والتحسيسي والثقافي والتربوي والحرفي .

كما أن هذا النشاط التطوعي انعكس عليهم بالإيجاب مما أدى إلى تحقيق مكانة اجتماعية لا تقوم على السلطة أو المال، وإنما على أساس رأسمال رمزي وأخلاقي، وفي مجال ربما لا تستطيع الأجيال الأولى منافسة جيل الشباب فيه، حيث انعكست مكانة الجمعية على المنتسبين إليها، بالإضافة إلى تبنيها لاستراتيجية الانفتاح على المجتمع ومؤسساته مثل: "الجامعة، دار الثقافة، المؤسسات الخاصة.. الخ"، وعلى الدول الغربية، حيث حضت في كثير من مشاريعها بشراكة أوروبية، مما أعطاهم نزعاً عالمياً تستميل الشباب الطامح إلى حياة أفضل، كما ساهمت في ربط المنتسبين بشبكة علائقية متينة قد تساعدهم في حراكهم وتحقيق مصالحهم.

5- الهوية الصوفية وخطاب الأنسنة "جنة العارف أنموذجاً":

إن الحضور الصوفي له تأثير كبير في الواقع الثقافي المغربي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة، إذ أن التصوف لم يعد يشكل نمطاً من أنماط التدين فحسب، بل أصبح يشكل مرجعية ثقافية للمجتمع الجزائري، رغم ظهور بعض التجليات الأخرى للتدين كمنافس له، لكن رغم ذلك بقي الحضور الصوفي، يحظى بنوع من الإجماع الوطني، خاصة في مرحلة الانزلاق الأمني سنوات التسعينيات، حيث تم استدعاء التصوف من أجل إعادة تثبيت الأمن العقدي خاصة لدى الشباب، الذي أصبح يميل إلى تلك النزعات الراديكالية المتشددة ، فالتصوف يعتبر نزعاً إنسانية، تقوم على السلام والتسامح بين جميع البشر، بعيداً عن فكرة الانطواء على الدين الواحد أو المذهب الواحد، هذا الخطاب الذي سنجده منعكساً على تصورات الشباب المنخرطين في جمعية جنة العارف ، التي تعتبر امتداداً للطريقة العلاوية في الجزائر، خاصة في الجانب التطوعي، إذ أن الجمعية استطاعت أن تنقل للمنخرطين نمط هوياتي نابع من الثقافة الصوفية، حيث أجمع أغلب المبحوثين على أن التصوف نزعاً إنسانية متصالحة مع العالم، في سياق ذلك قال أحدهم: "إن العمل التطوعي ومن خلال البيئة الصوفية هو عمل موجه لعامة الناس مهما كانت ديانتهم، تقاليدهم وهويتهم" (مقابلة رقم 03، يوم 2016/06/26)، وهنا يمكن القول إن النشاط الجماعي ومن خلال المرجعية الصوفية

يميل إلى التأسيس لثقافة المواطن العالمي، الذي ينتمي إلى البشرية ويسعى إلى إيجاد عالم متسامح وقادر على استيعاب الجميع.

- فالتصوف ورغم أنه نزعة دينية، إلا أنه يحاول دائما، أن يجعل من الدين "منبع لقيم المحبة والتراحم والتعاطف والشفقة واحترام كرامة الكائن البشري" (الرفاعي، ع ج. 2016: 91).

التصوف كنزعة هوياتية داخل الجمعية، يمكن اعتباره وعاء ثقافي حاضن لفئات هشة داخل المجتمع، مثل الشباب والمرأة، وقد ساهم في إعطائهما دورا داخل المجتمع، وجعل من هذه الفئات تتكفل في كيان واحد له مجموعة من الأهداف يسعى إلى تحقيقها، فالعمل التطوعي من خلال الجمعية ساهم بشكل كبير في بعث الثقة والشعور بالأمان في نفوس المنخرطين والانفتاح، حيث أن أغلب المبحوثين يصرحون أن انخراطهم في الجمعية أدى إلى تغيرات إيجابية في حياتهم، خاصة الثقة بالنفس، والتي هي "انعكاس للوسط التربوي والثقافي المرجعي" (ميكشيلي، أ. 1993: 147)، ممثلا في البيئة الصوفية للجمعية.

كما يمكن الإشارة أيضا إلى النزعة الإصلاحية داخل الطرق والحركات الصوفية، التي تسعى إلى إعادة بعث الصورة الحقيقية للتصوف، من خلال الانتظام في النشاط الجمعي والابتعاد عن الصورة النمطية، التي يحملها الكثير عن التصوف، ولذلك لجأت الزاوية العلوية على تأسيس حركة جموعية تحاول من خلالها تمرير خطاب يتماشى مع أعقد القضايا المطروحة في الساحة الدولية، كالبينة والاحتباس الحراري والتضامن الإنساني وحقوق المرأة. وهذا ما يمكن اعتباره خارطة طريق جديدة تعتمد الطرق الصوفية من أجل تجديد خطابها مع ما يتماشى من رهانات اجتماعية وهذا ما جعلها أكثر استقطابا للشباب، وهي تقوم بكل ما بوسعها من أجل التفريق بين ما يسمى بالصوفي المولوي وبين الصوفي العارف، بين الدرويش الميثولوجي وبين الصوفي الإنسان الذي له تجربته التاريخية (الرفاعي، ع ج. 2016: 157، 162).

هذا يحيلنا أيضا إلى موقف الجمعية والمنخرطين فيها من النشاط النسوي، داخل الجمعية أوحى في الأعمال التطوعية التي نجدها في أغلبها تركز على حملات التوعية لحماية البيئة، فان المنخرطين لا يعترضون على مشاركة النساء، بل يعتبرون ذلك من بين

الاستراتيجيات التي تعتمد عليها الجمعية، في ذلك صرح أحد المبحوثين: "أن رئيس الجمعية قام سنة 2014 بعقد مؤتمر دولي من أجل المرأة والسلام بمشاركة أكثر من 3200 شخص من جميع أنحاء العالم" (مقابلة رقم 04، يوم 2016/06/27)، ولذلك فإن الصوفية كنز عة إنسانية أصبحت تهتم بالقضايا الأكثر طرحا في مجال العلوم الاجتماعية من خلال نظرتها إلى دور كل من الرجل والمرأة في المجتمع، معتمدة فكرة الجندر (GENDRE) الذي لا يعبر عن الجنس (SEXE)، حيث أن النوع لا يولد مع الإنسان بل يكتسب وهو يركز على إلغاء الاختلافات والتميزات على أساس الجنسين الرجل والمرأة (المبادرة الفلسطينية. 2006: 9، 14).

وهنا يمكن القول إن النشاط الجماعي ومن خلال جمعية جنة العارف، ذات المرجعية الصوفية، استطاع التأسيس لنوع جديد من التدين داخل الوسط الشباني، وهو تدين يتلاءم مع الطبقة البرجوازية أو المرتاحة ماديا، حيث أن كل المبحوثين أشاروا إلى مستواهم المعيشي الجيد، بالإضافة إلى المستوى التعليمي، وهذا ما شارت إليه بعض الدراسات من خلال مفهوم التدين الاجتماعي، وهو نمط من التدين يستهدف الشباب ولا يطلب منهم تقديم الكثير من التنازلات، حيث أنه يلخص التدين وقيمه في الجانب الخيري والتطوعي والتسامح وحوار الأديان، وهو نموذج ظهر وترسخ في أعقاب أحداث 11 سبتمبر 2001، ليصبح العمل التطوعي داخل الجمعية هو عمل إنساني أكثر منه نزعة دينية. (مراكش، ف. 2005).

6- أنماط الفعل التطوعي والبعد الهوياتي:

إذا انطلقنا من التوجه العام للمبحوثين الذين يرون أن البيئة الصوفية، هي بيئة حاضنة للشباب، فإن توجههم نحو العمل التطوعي ما هو إلا خيار هوياتي، سمح لهم بتجميع قواهم وقدراتهم من أجل "استعراض هذه القوة"، وفي نفس الوقت تبخيس للهويات الأخرى (ميكشيللي، أ. 1993: 164)، ومنه فإن هناك عدة أنماط من العمل التطوعي، التي تتبناها الجمعية، ولكل نمط أهداف يسعى مؤسسها الشيخ **خالد بن تونس** إلى توطئتها في نفوس المنخرطين، وهي بعيدة عن الأهداف السياسية، إلا أن ذلك لم يسمح بأقول الطموح السياسي لدى المنخرطين، حيث صرح أحدهم قائلا: "فإن نجحنا في تغيير الفكر والعمل الاجتماعي،

فالتغيير السياسي يأتي كنتيجة خالصة" (مقابلة رقم 03، يوم 2016/06/26)، وهذا يحيلنا إلى اعتبار العمل التطوعي عند الشباب ما هو إلا تعبير عن رفض تام لما يحدث على المستوى السياسي، من ممارسات لا تعترف بالشباب وتتنظر إليهم على أنهم مجرد قصر يجب حمايتهم، أي استمرار تلك العقلية الأبوية وانتقالها من الفضاء الأسري إلى الفضاء السياسي، هذه النظرة التي أعتبرها " ادموند بارك من أعظم الأخطار التي تهدد الإنسانية" (زيجمونت، ب. 2016: 171).

وهنا يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط من العمل التطوعي قد ترسخت لدى المنخرطين:

6-1 النمط الإيكولوجي والبعد المدني:

إنحماية البيئة والدفاع عن المناخ، والقيام بحملات التشجير، وصولاً إلى عقد المؤتمرات والملتقيات الوطنية والدولية، من أجل الحفاظ على البيئة وترسيخ ثقافة التشجير والمساحات الخضراء، تعتبر من أهم أنماط الفعل التطوعي، التي تقوم بها جمعية **جنة العارف**، وإن كان هذا النشاط يبدو بعيداً كل البعد عن السياسة ، إلا أنه يعتبر كردة فعل غير راضية على سياسات مفسرة من طرف السلطة السياسيّة، فيما يخص هذا المجال، ويعبر عن فشل السلطة السياسية في التكفل بالتنمية البيئية، والذي أصبح من أهم النشاطات، التي تهتم بها السياسات العالمية، والتي لا تكف عن التحذير من الخطر المحدق بالبيئة، كما أن هذا السلوك هو سلوك حضاري ومدني ترسخ تقيمه بين الفاعلين المنخرطين في الجمعية، حيث أجمعوا على أن أهم أنماط الفعل التطوعي هو **الفعل الإيكولوجي**، الذي يتجسد في جانبين "جانب تحسيبي تربوي" التربية البيئية (شتوي، أ. 2006/2005). والجانب التكويني الحرفي"، حيث صرح أحد المبحوثين بالقول: "من أهم النشاطات التي نقوم بها هي غرس الأشجار وتحسيس الأطفال من أجل المحافظة على البيئة عن طريق نادي الربيع، لأنهم يمثلون المستقبل" (مقابلة رقم 02 يوم 2016/06/24). ومن بين النشاطات التي أنجزتها الجمعية في هذا الجانب هي المحافظة على الأشجار النادرة والسائرة نحو الانقراض، وتحسيس المواطن بأهمية فوائدها، ومن بينها شجرة الصراوية " الارقان" وفوائد زيتها على صحة الإنسان، حيث تم تشجير 1500 شجرة في منطقة وريعة وكان مشروعاً ناجحاً، تسعى الجمعية إلى تعميمه على المستوى الوطني، من خلال الاشتراك مع الجهات المعنية بالبيئة، كذلك ساهمت في إنقاذ شجرة موريقة ونبات الصبار وإقامة ندوات وأيام دراسية من أجل توعية

المنخرطين والمواطنين بصفة عامة، بمدى أهميته لصحة الإنسان وتعتبر الجمعية بمثابة مدرسة تساهم في التربية الايكولوجية للمواطن، حيث خصصت "نادي الربيع ونادي الصيفي" للأطفال، محاولة بذلك غرس قيم المحبة والسلام، التي لا تكون إلا بالحفاظ على المحيط، وهي تربية روحية ومدنية في نفس الوقت، إذ من جهة تجعل المنخرط يتأثر بفكرة العطاء لدى الطبيعة والبذل، ومن جهة أخرى تجعله يحافظ على وسطه الحضري من خلال تدعيم فكرة العمل المدني.

2-6 النمط الحرفي والاندماج الاجتماعي:

إن حالة الاغتراب التي تعيشها فئات واسعة من المجتمع الجزائري، لاسيما الشباب بما فيه المرأة بسبب ذلك الإقصاء والتهميش الممارس عليها من طرف مجتمع ذكوري بالدرجة الأولى، وفي نفس الوقت له تصور خاص لكبار السن، إذ يعطيهم مكانة تتمتع بنوع من القداسة، هذه الحالة ولدت نوعا من عدم "الثقة والتشاؤم" (بركات، ح. 2006)، لدى الشباب في تعاملهم مع كبار السن، وفي نفس الوقت ساهمت في تنامي نوع من الانسحاب الاجتماعي، والتوجه نحو الحركات الراديكالية، لذلك فالفضاء الجماعي حاول إعادة إدماج هؤلاء الشباب وتأهيلهم، من خلال توجيههم نحو عدة مجالات، فالعمل التطوعي داخل الجمعية **جنة العارف** يحمل مؤشرين فمن جهة هو موجه لتقديم خدمة للمجتمع والمشاركة الفعالة في الحياة المدنية والاجتماعية، بالإضافة إلى التركيز على العمل البيئي والقضايا العالمية، التي تشغل الرأي العام، ومن جهة أخرى ساعد الشباب المتطوع على خلق مؤسسات استثمارية والاعتماد على النفس في تمويل المشاريع التطوعية والمبادرة واقتراح أفكار جديدة، بالإضافة إلى تمكينه من العودة إلى المجتمع من خلال لعب دور محوري داخله، حيث صرح أحد المبحوثين: "أن جمعية جنة العارف ومن خلال ما قدمته للشباب قد تحولت إلى قطب في التنمية المستدامة (عبد الكافي، إ. دت: 157). ويبرز ذلك من خلال تبنيها عدة أنواع من أنماط العمل التطوعي ذات البعد الحرفي، حيث سعت إلى تكوينهم باكتساب حرفة في عدة قطاعات، نذكر من بينها حسب تصريح أحد المسؤولين في جنة العارف: "يتلقى الفاعلون ومن يرغب في الاشتراك تكويناً في عدة حرف تكسبهم مهارات ومهن عند خروجهم إلى عالم الشغل، ومن بين المجالات: الفلاحة والبناء وتربية النحل والبرمجة. (مقابلة رقم 10، يوم 2016/07/02)، وذلك من خلال إقامة الندوات وأيام تكوينية

في عدة مجالات نذكر على سبيل المثال "تربية النحل والفلاحة" للتعرف على الطرائق الحديثة في هذا المجال لتعم الفائدة والخبرة، كما أن هناك عدة مشاريع تم إنجازها بفضل مشاركة المنخرطين، مما أكسبهم خبرة وثقة بالنفس، ونذكر على سبيل المثال المشاريع ذات البعد الثقافي، فمن بين أهداف الجمعية الحفاظ على التراث المادي واللامادي، حيث شاركت بمشروع الحفاظ على التراث المحلي لمنطقة مستغانم، الذي توج بدفتر شمل كل ما يتعلق بالذاكرة وبالموروث المحلي لولاية مستغانم، وكان ذلك بإشراك متطوعين من جنة العارف، تصب اهتماماتهم في مجال الثقافة حسب تخصصاتهم وميولاتهم، حيث تم تكوينهم قبل البدء بعملية جمع معطيات وتحريرها، من خلال الأيام الدراسية والتكوينية، التي كانت موضوعاتها تدور حول كيفية الحفاظ على التراث الثقافي، والمساهمة في إحيائه في شكل دفتر، وهذا مما أكسبهم تجربة فعالة تضاف إلى رصيدهم المعرفي وهذا ما أدلى به جل المبحوثين، هذا من جهة ومن جهة أخرى يبرز دور الجمعية جنة العارف في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، ولم تكتفي الجمعية في تكوين منخرطيهما فقط بل سعت إلى تعميم تجربتها في الوسط الاجتماعي، ومن بين المشاريع التي تعمل على تنفيذها، حسب ما صرح لنا به أحد مسؤولي جنة العارف، مشروع التكوين الحرفي للمساجين من أجل إدماجهم في المجتمع بعد خروجهم حيث سيكون المنخرطين أحد فاعلين فيه، وقد اختيرت ولاية غليزان وتم الاتفاق مع مديرية السجون من أجل السماح بخروجهم للاستفادة من التكوين، وهذا المشروع هو أحد الاستراتيجيات الجديدة التي اعتمدت عليها الجمعية، برئاسة الشيخ خالد بن تونس شيخ الطريقة العلاوية في تجديد خطابها مع ما يتماشى مع الراهن واليومي وهذا ما ذهب إليه هابرماس في ضرورة إقحام الديني في الفضاء العمومي لإضفاء الجانب الأخلاقي عليه. فالعمل التطوعي ليس الهدف من وراءه "الحصول على أجر ديني فحسب"، بل هو يحمل قيمة إنسانية.

3-6 النمط التربوي والانفتاح على الآخر:

يقول عبد الجبار الرفاعي: "ليس هناك وسيلة للخلاص سوى أن نلتمس السبل المختلفة التي تقودنا إلى حب الله والإنسان والعالم، وبالسعي وراء الحب يشرق القلب وتسمو الروح إلى مرتبة نغدو فيها لا وطن لنا إلا الحب، وحيث يكون الحب يكون الوطن" (الرفاعي، ع. ج. 2016: ص 177)، ولذلك فإن قيم الحب والتسامح والانفتاح على الآخر، كلها أنماط تربوية

استطاعت جمعية **جنة العارف** نقلها إلى المنخرطين وإعادة بعث الإنسان بداخلهم ، حيث صرح أحد المبحوثين: "أن من أهم القيم التي تهدف جنة العارف إلى نشرها والتي يسعى شيخنا خالد بن تونس إلى ترسيخها فينا هي ضرورة الاهتمام والاستثمار في الإنسان وإعادة تربية أنفسنا من حيث نظرتنا نحو الحياة والذات والغير والمخلوقات، أي العيش بانسجام مع الله ومع جميع مخلوقاته، حيث يقول شيخنا العلوي: "الله هو روح الأرض" (مقابلة رقم 9 يوم 2016/07/01)، ومن خلال هـ ذا القول نستخلص أن الأخلاق الصوفية التي تؤطرها وتريد ترسيخها في الفاعلين الاجتماعيين، هي ضرورة بناء علاقة سليمة مع الذات ومع الآخر مهما كان نوع هذا الآخر، أي التواصل على أسس إنسانية، إذ تسعيا لإنشاء أفراد فاعلين اجتماعيين يتحركون ويتصرون في العالم في ضوء الحاجة الروحية، تعزز قيم حرية المعتقد وحرية التفكير لدى المنخرطين، الذين يبحثون عن عالم تسوده المحبة، وتقديم المساعدة للآخرين دون الالتفات إلى دياناتهم وعقائدهم.

هذا الطرح يتماشى مع المفاهيم العالمية للإنسانية كالمواطنة وحقوق الإنسان، حيث تريد الجمعية ومن خلال البعد الروحي، والذي يعتبر الدين علاقة محضة بين الخالق والمخلوق، وهو يمثل أهم المرتكزات العقدية في التوجه الصوفي، فالله وحده هو الذي يمكن أن يحكم على أفعال البشر، هذه النزعة التي يعتبرها المنخرطون نزعة إنسانية مشتركة بين جميع الأديان، حيث صرح أحد المبحوثين: أن "التصوف هو نزعة إنسانية مشتركة بين جميع الأديان" (مقابلة رقم 02، يوم 2016/06/21). وبذلك فإن الجمعية جعلت الفاعلين ينفثون على مختلف التوجهات الدينية سواء داخل مجتمعهم، أو حتى في علاقتهم مع الآخر، وبذلك فإن فكرة الكافر أو عملية التكفير والإقصاء غير موجودة ضمن القيم المفاهيمية، التي يتلقاها المنخرط في الجانب التربوي للعمل الجماعي، فهي إذن فضاء تواصلية مع كل شرائح المجتمع وعلى كل الفئات العمرية، وهذا ما ولد عند المنخرطين هوية تواصلية وتفاعلية تتأسس على اختلاف وترفض الإقصاء، وهذا ما يجعلها مطلبا هوياتيا وضرورة اجتماعية .

الخاتمة:

لقد نجحت جمعية **جنة العارف** ومن خلال المرجعية الأخلاقية الصوفية، احتواء بعض من الشباب المهمش في الجزائر، وإعطائه فرصة للعب دور داخل الحراك الاجتماعي وفي نفس الوقت أصبح الشاب المتطوع يمتلك نوعا من الثقة في النفس، بفضل تعلمه مجموعة من

المهارات، التي يستطيع من خلالها تحقيق نوع من المكانة الاجتماعية المفقودة، كما أنه تشبع أيضا بقيم الصوفية كالتسامح والانفتاح على الآخر واحترام الاختلاف والقبول به والعيش المشترك، ووصل إلى نوع من التصالح بين الرجل والمرأة، حيث أصبح يعترف بها ويقبل مشاركتها في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، ومنه نستنتج أن جمعية "جنة العارف" كمرجعية وكنموذج لاستقطاب الشباب ومحاولة تأطيرهم لدمجهم في المجتمع من خلال مشاركتهم في مختلف أنماط الفعل التطوعي، فبقيهما الصوفية ونشاطاتها تساهم في تغيير نظرهم وتوعيتهم وتحفيزهم وتقديم صورة ايجابية عنهم. أي أصبحت اليوم تشكل مطلبا هوياتيا من خلال النظرة التجديدية وتشكلاتها الحديثة، التي تتوافق مع متطلبات الوقت ولهذا كانت ملجأ لهم كونها تهتم بمواضيع حديثة قد لا تكون من اهتمامات الأجيال السابقة، فهي تنسجم مع طموحاتهم وتسمح لهم بالمبادرة والمشاركة في التسيير والاستثمار في المشاريع. وما انخرطهم في مختلف أشكال الفعل التطوعي "الحرفي والايكولوجي والتربوي والثقافي" إلا رغبة في التعبير عن انتماهم الحداثي برويته انسانية ذات البعد المدني، وكرد فعل على أنماط وأنساق الفعل التقليدي ذات الصلة بالسلطة الأبوية المهيمنة، ومنه يمكن القول أن الجمعية هي فضاء ومجال للشباب ومرجعية هوياتية.

7- ملحق خاص: بخصائص عينة البحث:

الرقم	الجنس	السن	المستوى التعليمي	المستوى المعيشي
01	انثى	27	ماجستير	جيد
02	انثى	29	دكتوراه ل- م - د	جيد
03	ذكر	25	ماستر	متواضع
04	ذكر	22	ماستر	جيد
05	ذكر	29	دكتوراه علوم	جيد
06	انثى	20	ليسانس	متوسط
07	ذكر	26	جامعي	جيد
08	ذكر	29	دكتوراه علوم	متوسط
09	ذكر	20	ليسانس	جيد
10	ذكر	24	ماستر	جيد
11	انثى	24	ماستر	جيد
12	ذكر	28	ماجستير	جيد

8- قائمة المراجع:

- القرآن الكريم

1. أحمد زغب: (2013)، سؤال الهوية من الوعي الجمعي إلى الذات الفردية الشاعرة، "النماذج الشعبية في الجنوب الجزائري"، مجلة الحقيقة، جامعة ادرا، العدد 26.
2. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: (د ت)، معجم مصطلحات عصر العولمة، مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية والإعلامية.
3. أليكس ميكشيللي: (1993)، الهوية، تر: على وطفة، ط1، دار الوم للطفاعة والنشر، دمشق، سوريا.
4. حليم بركات: (2006)، الاغتراب في الثقافة العربية، "مناهات الإنسان بين الحلم والواقع"، ط1، مركز دراسات - و-ع، لبنان.
5. زيجموننتاومان: (2016)، الحب السائل، "عن هشاشة الروابط الإنسانية"، تر: حجاج أبو حجر، ط1، ش/ع/ للأبحاث/لبنان.
6. شتوي الأخضر: (2006/2005)، برامج التربية البيئية في التلفزيون الجزائري، دراسة تحليلية، "لسلسلة إعلانات الغزالة دينا" رسالة ماجستير، تخصص علم الاجتماع الثقافي، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر.
7. صموئيل هانتكتون: (1993)، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، تر: سمير فلو عبد، ط1، دار الساقى، لبنان.
8. عبد الجبار الرفاعي: (2016)، الدين والظماً الاطنولوجي، ط1، مركز دراسات فلسفة الدين، العراق.
9. عبد الناصر جابي: (2012)، مأزق الانتقال السياسي في الجزائر، ثلاثة أجيال وسيناريوهات، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر.
10. عاطف غيث: (2006)، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
11. عزمي بشارة: (د ت)، المجتمع المدني دراسة نقدية، ط6، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان.
12. علي الكنز وعبد الناصر جابي: (1998)، الجزائر البحث عن كتلة اجتماعية جديدة، "المجتمع و الدولة في الوطن العربي في ظل السياسات الرأسمالية الجديدة، مكتبة مدبولي، مصر.
13. عمر رحال: (2006)، الشباب والمؤسسات والأطر والمشاريع والنوادي الشبابية، ط1، بحث مقدم إلى المنتدى الشبابي.
14. كنيثبلانكارو ومايكل اكلنور: (2000)، الإدارة بالقيم، تر: عدنان سليمان، دار الرضا، سوريا.
15. مراکش فريد: (2005)، التدين الاجتماعي جمعية صناعة الحياة، دراسة ميدانية وهران أنموذجاً، رسالة ماجستير، وهران.
16. عمر مهيل: (2007)، من النسق إلى الذات، لبنان، ط1، دار العربية للعلوم.
17. محمد عابد الجابري: (1998)، المجتمع المدني، ط1، تساؤلات وآفاق، دار توبقال، المغرب.
18. هشام شرابي: (1984)، مقدمات في دراسة المجتمع العربي، ط3، دار المتحدة، لبنان.

19. دراسة مقدمة عن مركز كن حر، منظمة التضامن النسائي، (2011): نعم استطيع القيادة للشباب -الفئة العمرية 17-13

20. ما مكانة الشباب في التنمية المستدامة في الجزائر، (2014) تقرير صادر عن المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي.

21. مسرد مفاهيم ومصطلحات النوع الاجتماعي، منشورات مفتاح، (2006) المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العلمي والديمقراطية، القدس، دولة فلسطين.

المراجع باللغة الاجنبية:

22. Sills, David,(1968).ed, internatinalencyclopdai of social: sciences, the Macmillan company ande free.